تفريغ الدرس الثاني والعشرين

لمقرر مسائل الجاهلية للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-

يوم الخميس الموافق 26 مارس 2020 م (1441) هـ

بمسجد الإمام مسلم -مصر- الاسكندرية- العصافرة القبلى

بشرح فضيلة الشيخ الدكتور/ طلعت زهران -حفظه الله-

البرنامج العلمي التأصيلي للعلوم الشرعية -مصر- الاسكندرية- وخارجها

.....

ملاحظة مهمة: هذا التفريغ مبدئي وتمَّ من قبل الطالبات ولم يراجع ويفضل الاستماع الى الصوتية نفسها أفضل مع التفريغ .. لأن هناك أخطاء إملائية أو اللغوية غير المقصودة. فالاستماع للصوتية أمر ضروري حتى يكمل الفهم بشكل جيد

(هذا مجهود الطالبات نرجو الاستفادة منه وجزاهم الله عنا كل خير)

.....

بسم الله والحمد لله والصلاة السلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أما بعد:

قال فى مسائل الجاهلية: [المسألة السادسة والاربعون]: مَثَبَّت الدهرِ كقولهم: { وما يُهلكنا إلا الدهر}

يقصد هنا أن أهل الجاهلية كانوا يسبون الدهر، ومعنى سب الدهرِ هنا: أنهم ينسبون إليه أنه هو الذى يُفنى وأنه هو الذى يهلك وأن الحياة الدنيا لا يهلكهم فيها إلا الدهر

فطبعاً والدهر هذا مخلوق لا يملك لنفسه شيئاً، لأن الدهر هو الزمان وهو الأيام والليالى والدهر مخلوق، لأن الله قال ﴿هو الذي خلق الليل والنهار﴾ سبحانه؛ والزمان جريان الشمس والقمر، والله عزوجل هو الذى خلق الشمس والقمر

فهم ينسبون الحوادث إلى الدهر؛ ولذا يُسمونَ الدهرية وهم طبعا كان من أهل الجاهلية من يقولون: إنه الدهر هو الذي يبعث الناس فيه، وأنه مثلُ الزمان يبعث الناس ويأكلهم فيهِ؛ وأهل جاهلية قالوا: ما هى إلا حياتُنا الدنيا نموت ونحن وما يهلكنا إلا الدهر، والملاحدة قديماً كان يقولون: إن هى إلا أرض تدفع أو إن هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع والزمان هو الذى يُسيرَ كل شيء

فهم ينسبون جميع الحوادثِ إلى الزمن، إلى الدهر؛ فكان إذا حلَ بهم مكروه أو أصابهم شيُئاً فإنه ينسبُونهُ إلى الدهر، وبالتالي هم يسبون هذا الدهر ، كما قال الأمام الشافعى رحمه الله "نعيبُ زماننا والعيبُ فينا وما لزماننا عيب سوانا" الدهرُ زمان والزمان ظرف، يحدث فيه الأشياء والأشياء لا تحدث إلا بأمر الله تبارك وتعالى ولا يقعُ شيء فى هذا العالم إلا بأمر الله تبارك وتعالى

والناسُ بمشيئتهم التي هي تحت مشيئة الله يتصرفون ويفعلون ويقعون، إما أن يفعلوا خيراً وإما أن يفعلوا شراً، وهم مسؤلون عن أفعالهم مع أن الله عز وجل خلقهم وخلق أعمالهم

فهم ينسبون كل شيء إلى الدهر والإنسان لابد أن ينسب الأشياء كلها إلى رب العالمين، لأن الله عز وجل هو الرب وتوحيد الربوبية معناه أن الله منفرد بالخلقِ والملكِ والتدبيرِ فالله عز وجل خالق كل شيء ومالك كل شيء ومدبر كل شيء

فما الدهر -أي الزمان- إلا شيء مخلوق من مخلوقات الله، لا تصرف ولا شيء، إنما يجدى بأمر الله عز وجل الله عز وجل ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار في الليل﴾ سبحانه تبارك وتعالى

جريان الزمان جريان الليل والنهار هو الدهر، وكان أهلُ الجاهلية من اليونان القدماء والرومان القدماء كانوا يقولون: إن الزمن أو الدهر كانوا يسمونه خرونوس، وأن هذا الخرونوس الذي هو الإله الرب هذا ينجبُ اولادهُ ويأكلهم ويبلعهم

طبعًا هذا رمز عندهم أنّ الزمان يوجَد فيه الناس ثم يموتون، فكان كْروم السابع بزعمهم يأكل أولاده كلما وُلِدَ له وَلَد بلعه، كلما يُولَد له ولد بَلَعه، ثم إنّ امرأتَه غضِبت مِن هذا وحزِنت، فلما أنجبت زيوس لَفّتْ حَجَرا وأعطته لهذا الخروص فبلعه وظن أنه بلع ولده زيوس هذا، ثم إنّ زيوس هذا نشأ بعيدا في جبال فلما كبر قتل الزمان؛ يقصد اليونانيون بذلك: أنّ زيوس هو الرب العظيم الذي قَتل الزمان فهو خالِد مُخَلّد لا يموت أبداً، ثم أَخرَج إخْوته مِن بطن أبيه الزمان خروص هذا ونصّب هذا على البحر وهذا على النار وهذا للسحر وهذا للشمس وهذا لكذا وهذا للحكمة وهذا للجمال وهذا للحب .... وأشياء من هذا القبيل.

وتلقى أهل الجاهلية هذا الفكر الباطل عن اليونانيين والرومان نفس الكلام أيضاً يقولون هذا، فطبعاً العقيدة الصحيحة أنّ الزمان ما هو إلا خَلق مِن خَلْق الله ليس له تَصَرُّف، ولذا أنكر الله سبحانه على مَن يَنْسِب الحوادث إلى الدّهر، قال تعالى:{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} الجاثية [24]، لأن هذا طبعاً إنكار للبعث وقوم أهل الجاهلية من قريش أنكروا البعث أيضاً ونسبوا إلى الدهر أنه هو الذي يُهلِك وهو الذي يُميت-والعياذ بالله-، قالوا "نموت ونحيا" يعني أناس يموتون ويُخلَق أُناس آخرون، وما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، ويقولون هذه طبيعة الحياة ولذا الطبيعة التي قالوا الطبيعة nature هي المصطلح اليوناني سيزس وبالمصطلح اللاتيني ناتورا التي جاءت منها كلمة

ولذا إلى الآن الملاحدة يقولون الطبيعة وينسبون كل شيء إلى الطبيعة-والعياذ بالله- وما الطبيعة إلا شيء مخلوق لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا يملك لنفسه شيئاً -نعوذ بالله من ذلك-، وما الزمان إلا مرورُ الليالي والأيام ولا يُمررها إلا الله الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل

فقالوا: لا توجد آجال مقدورة ولا ملَك يقبض الأرواح عند انتهاء الآجال، أما أهل السنة الحمد لله يؤمنون بأنه { لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } يونس[49] وأن الله هو الذي خلقهم وأنهم إليه يُرجَعون

ونهى ﷺ عن سبّ الدهر لأن الدهر هذا لا يملك شيئا، قال النبي ﷺ راويًا عن رب العزة جل وعلا في الحديث القدسي: « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » والدهر بيد الله لأن الله الذي يقلّب الليل والنهار وما يجري في هذا الدهر في هذا الزمان ما هو إلا شيء بتقدير الله تبارك وتعالى، أقصد أن النبيﷺ قال هو القائل « لا تسبوا الله فان الله هو الدهر »، وهذا رواه البخاري وأخرجه أيضاً مسلم فهو متفق عليه

وروى النبي ﷺ الحديث القدسي عن رب العزة قال: ((يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار))[متفق عليه]، لما يقول الله عن نفسه أنا الدهر، ليس معناها أنَّ من أسماء الله الدهر، أو أنَّ الله هو الدهر، لكنه بينه - سبحانه عز وجل -؛ قال: ((بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار))؛ يعني الدهر بيد الله - سبحانه عز وجل-

فأنا الدهر: يعني أنا الذي أقلب الدهر، وأنا الذي خلقت الدهر، وأنا الذي أصرف الأمور في الدهر، ولذا اخطأ ابن حزم - رحمه الله – لما قال: أنَّ الدهر من أسماء الله، طبعًا الدهر ليس من أسماء الله، لأن الدهر مخلوق، وأسماء الله - عز وجل - ليست مخلوقة، وكلها حسنى

فإذا سب الإنسان الدهر فإنه سب الذي يصرف الليل والنهار، والذي يدبر الأحداث كلها، فقد سب خالق الدهر - جلَّ وعلا -، وهذا مما يؤذي الله - تبارك وتعالى -؛ لأن الذنب يقع على الله، فهم يسبون الأحداث

التي يجريها الله - عز وجل -؛ والأحداث إنَّما تجري بتصريف الله، بحكمة الله - تبارك وتعالى -؛ مقدّر الآجال والأعمار، ومقدر المصائب والأحداث والوقائع، كل شيء يدبره الله - عز وجل -؛

لأننا قلنا أنَّ الربوبية هي: أنَّ الله خلق كل شيء، وأنَّه يدبر كل شيء، فهو يدبر هذا الدهر - سبحانه عز وجل -، والدهر زمان؛ والزمان مخلوق، والله - تبارك وتعالى - يدبر خلقه كما يشاء بما يشاء - سبحانه تبارك وتعالى –

ولذا الواجب على المؤمن أن ينتبه لهذا، فلا يسب الزمان أبدًا، وإذا أصابه مكروه من شأن أي شيء فإنَّه يعلم إنَّه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما اخطأه لم يكن ليصيبه، وأنَّ الله - عز وجل - يبتليه ليستخرج منه عبادات عظيمة منها: الخضوع، والذل، والخشوع، والدعاء لله رب العالمين.

وعلى الإنسان أنَّ يعترف بذنبه، وأنَّ يقر بها، وأنَّ يعلم إنَّه ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى:30]، فالإنسان يذم تصرفه هو - تصرف الإنسان -، ويلوم نفسه، ولا يلوم الدهر، ولا يسمى، بعض الناس الآن يقول: الزمن الجميل، أو الزمن القبيح؛ هذا لا ينبغي.

وأمَّا أن يحتج أحدٌ فيقول: ولكن الله – عز وجل - نفسه – سبحانه – قال: ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[فصلت:16] على قوم عاد، لما أرسل الله - عز وجل - عليهم حاصبًا في أيام نحسات ليذيقهم، طبعًا ليذيقهم الله جزاء ما عملوا، فإن أيام نحسات؛ يعني فيها أحداث نحسة تقع على رؤوس هؤلاء الذين عصوا وتجبروا، وكفروا ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[هود:59]؛ فهي نحسات عليهم ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾[النبأ: 26] عقوبة في الدنيا، فضلًا عن عقوبة الآخرة؛ وهي الخلود في النار.

والناس الآن يقول لك: زمن جميل، وزمن غير جميل؛ الزمان هو مجرى الأشياء، والإنسان هو الذي يعيش في ظل في خضمّ هذا الزمان وهو يفعل بما يقدره الله - تبارك وتعالى – عليه، فلا ينبغي للإنسان أن يغفل عن هذا، ولا أن يسب الزمان أبدًا، وإنَّما الإنسان عليه أن يتعبد الله - تبارك وتعالى -، ولذا بعضهم يقول: القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود - هذا غلط هذا غلط -، لا ينبغي للإنسان أنَّ يقول أمثال

هذه الأمثلة السيئة التي فيها الزمان الأبيض يعني هناك زمان ابيض و زمن أسود و قلنا الزمان هو الدهر، تحدث فيه الأشياء فلا ينبغي للانسان أن يعيب زمانه أبدا، و إنما يعيب نفسه؛ و لا ينبغي للإنسان أن يتمنى ان يعيش في زمن أسبق و لا غيره، الزمن الذي أنت فيه هو وقت الإختبار وهو الذي قدر عليك أن تعيش فيه؛ و إذا قدر عليك أن تعيش فيه فالله يبلوك بالخير والشر فتنة ، و على الإنسان أن يثبت في هذا البلاء

و ربما عاش أناس في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و خسروا، و عاش أناس في زماننا و بعد زماننا و كسبوا

فالمنافقون كانوا في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و كفار مكة كانوا في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و اليهود كانوا في عهد النبي صلى الله عليه و سلم و خسروا و خابوا و العياذ بالله

و هناك أناس الآن يتعبدون الله و يتقون الله، فلعلهم يكونوا من الفائزين؛ فليس للإنسان أن يسب الزمان بحال من الأحوال . وكما ذكرنا: **نعيب زماننا والعين فيها *** وما لزماننا عيب سوانا**

ثم قال: المسألة السابعة و الأربعون: إضافة نعم الله إلى غيره

الكفار يضيفون نعم الله إلى غيره، و هو سبحانه وتعالى المنعم و المنعم صفة لله تبارك و تعالى و ليس من أسماءه، يقول الله عز و جل : { يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها } وهم يضيفون نعم الله إلى غيره سبحانه و تعالى و إضافة النعم إلى غير الله شرك بالله وكفر بالله، لأن الله عز وجل هو المنعم و هو صاحب النعم

قال : أنعم عليهم، و في الفاتحة نقول صراط الذين أنعمت عليهم، و إنعام الله تبارك و تعالى ظاهر، نعم الله ظاهرة، قال : { و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها} و الإنسان ينظر في نفسه يرى النعم، ينظر في ما حوله يرى النعم ينظر إلى النعم في السماوات و الأرض و ما بينهما ، نِعَم في كل شيء و أرزاق داره نازلة من الله تبارك و تعالى ، و أفضال و الفضل كله له { و ما بكم من نعمة فمن الله } أي نعمة أي نعمة من الله عز وجل

قال الله عز وجل عن أهل الكفر:{يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها } إذا هم يقرون بقلوبهم {جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا } يعرفون نعم الله تبارك و تعالى

أول نعمة على الإنسان أن الله أكرمه و فضله ، قال : { و لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا} يا أيها الإنسان ، اعلم نعمة الله ع،ليك كان يمكن لله تبارك و تعالى أن يخلقك إنسان كما خلقك و لكن يحكم عليك بالكفر و الخلود في العذاب الأليم و النار و العذاب المهين؛ و كان يمكن لله عز وجل أن يخلقك شجرة يستظل الناس بظلها و يقطعونها و يحرقونها؛ و كان يمكن أن يخلقك تراب يدوسك الناس؛ و كان يمكن أن يخلقك حشرة تطؤها الناس بأقدامهم؛ و كان ممكن أن يخلقك فأرا أو حيوانا أو أي شيء لا قيمة له و لكن الله أكرمك أيها أيها الإنسان وجعلك ترأس وترضع ورزقك وزوجك سبحانه وتعالى وأظهر النعم . الإنسان و أنعم عليك العظيمة عليك فلا تكن كالكافرين الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها

وكلمة يعرفون نعمة الله هنا إما أن يكون لها معنى عام وإما أن يكون لها معنى خاص:

فالمعنى العام نعم الله عز وجل أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة

وأما المعنى الخاص فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أعظم نعمة صلى الله عليه وسلم أنعم الله بها على الإنس والجن

لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الخيرات ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويدلهم على طريق الجنة ويقودهم إليها صلى الله عليه وسلم، و هوالهادي البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وسلم

فالمعنى الخاص يعرفون نعمة الله يعني يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرفون فضل الله بإرساله إليهم ويعرفون فضل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ينكرون ذلك ويكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم جحودا وعنادا واستكبارا، مع أنهم في قرارة أنفسهم يعلمون أنه الرسول الحق صلى الله عليه وسلم

الكفار يعلمون قال الله {قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون} واليهود يعرفونه {يعرفونه كما يعرفون أبناءهم} ولكنهم يكذبون من ضلالهم وعنادهم وجحودهم واستكبارهم يكذبون هذه النعمة، النعمة العظيمة التي لو اتبعوها وآمنوا بها لفازوا

بل إن الله عز وجل جعل إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العلامة والدليل على محبة الله تبارك وتعالى {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} فالكفار كلهم يعرفون نعمة الله بإرسال رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه هو أكبر وأعظم نعمة على البشرية وعلى الجن كذلك ثم يكفرون بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم ويعاندونه. فهذا عجيب جدا منهم

بل إن كفار مكة تآمروا على النبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه، هذا مكر عظيم قال الله {ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين} بل يعاندون ويقولون {اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم} كيف يتجرؤون على هذا نعوذ بالله من أفعال الجاهلية

فيا أيها الناس: تأملوا في نعم الله عز وجل التي أفاض بها ربكم عليكم، نعم في أنفسكم، ونعم في حياتكم ونعم في دنياكم ونعم في الآخرة لمن أطاع واتقى، ونعمة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم، ونعمة إنزال القرآن إليكم هدى وبشرى ذكر حكيم فيه كل الهداية ويدعو ويهدي إلى صراط مستقيم

فالإنسان لابد أن يتأمل في هذه النعم كلها ويشكر الله عز وجل، ولا يشكر الله من لم يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لابد من شكر بالقلب واللسان والجوارح، ولابد من معرفة نعم الله ولابد من الإقرار

بنعم الله تبارك وتعالى، وأن يؤمن الإنسان في قرارة نفسه أنه وما بكم من نعمة فمن الله وأن النعمة فضل

الله عزوجل يقول قل ان الفضل بيدي بالله يؤتيه من يشاء وقال وكان فضل الله عليك عظيما وهذا تنبيه بالأعلى على الأدنى كان فضل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم عظيما وكان فضله على العالمين عظيما جدا سبحانه تبارك وتعالى أفضال ونعم لا تعد ولا تحصى

الإنسان لابد أن يحاول ان يحسب هذه الفضائل والنعم ويظل دائما شاكرا لله عزوجل

وهم إن كانوأهل الجاهلية قد أنكروا إن كانو أهل الجاهلية فقد أنكروا نعمة الله عزوجل عليهم فإن كثيرا من الناس ينكرون نعم الله تبارك وتعالى إما بأقوالهم وإما بأفعالهم لأن الشكر قليل الله عزوجل قال: (وقليل من عبادى الشكور)لايستجيبون لله عز وجل الذي يدعوهم إلى حمده وشكره يستجيبون لشيطان الذي يدعوهم إلى دهول نعمة الله عزوجل(لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم و عن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)كثير من الناس ناقمون على الله تبارك وتعالى ولايحسبون نعمة الله ولايحمدون الله تبارك وتعالى عليها

فنسأل الله عزوجل أن نكون من الحامدين الله عزوجل قال(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فستبشرو ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)قال: {التائبون العابدون الحامدون الحامدون السائحون الراكعون} بل إن أعظم سورة في القرآن تبدأ بالحمد لله رب العالمين وهي سورة الفاتحة وسورة الحمد يأيها الناس لابد من حمد الله تبارك وتعالى

فكانت هذه المسألة السابعة والأربعين نسأل الله عزوجل أن يعلمنا وينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه